رحلة الأقدار

الفصل الرابع

الجمهورية العربية المتحدة

المبحث الأول

العدوان الثلاثي على مصر

*النصر السياسى والإعلامى الذى تحقق لمصر بعد العدوان الثلاثي عام 1956 ،كان مبهرا فى هذا الوقت الذى كانت كل شعوب المنطقة تترقب ما يحدث فى مصر بعد الثورة ، التى ما تزال فى أولى مراحل طفولتها ، وكانت معظم دول المنطقة إما مازالت ترزح تحت نير الاحتلال أو تحررت حديثا وما زالت تتحسس الخطى نحو المستقبل ، فكانت التجربة المصرية مثار اهتمامهم وعندما تحقق لها النصر السياسى والإعلامى واندحرت جيوش ثلاث دول كبرى وبقيت الثورة ،

فقد كان هدف العدوان هو إعادة المنطقة إلى ما كانوا يسمونه المستعمرات إلى الدول المستعمرة ،بأن تعود إنجلترا إلى مصر وفرنسا للجزائر ووجدت إسرائيل فى تلك الأوضاع فرصة لكى تجد لها دور فى المنطقة فدخلت معهم، وكان قرار التأميم أهم الذرائع لديهم.

* بعد إعلان عبد الناصر قرار التأميم ذهب إلى منزله الساعة 12 مساءً وكان بجوار منزلي في الإسكندرية ، فاتصل يسألنى عن رد الفعل بعد خطاب التأميم ، فقلت له أول رد فعل جاء من «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا نفسه يقول « هذا الديكتاتور الصغير سأعلمه أنه يضر بلاده ضررًا شديدًا لأنني قررت تجويع الشعب المصري» فسألنى وماذا فعلت ؟ فقلت له أنا عملت مسوده قرار «تصريح» أقول فيه « صرح المتحدث الرسمي البريطانى أن المستر «إيدن» قال كذا وكذا وأنه سيجوع الشعب المصري، ويبدو أن المستر «إيدن» يعتقد أن مصر

كالجزائر الفرنسية تعتمد على الاستيراد من الخارج فهذا غير صحيح فمصر لـديها النيل الذي يوفر لها الكفاية الاقتصادية والأمن الغذائي وليس لي أن أقول أكثر مـن هذا «ولم أشتم «إيدن» فقال لي الرئيس عبد الناصر وهل نشرته، فقلت له لم أنشره و أردت أن عرضه عليكم قبل نشره وإذاعته ، فقال لي أنشره،وما أن نشرنا الرد حتـى بدأت الدول الثلاث فى تنفيـذ المخطـط لاسـتعادة مسـتعمراتها القديمـة وبـدؤوا الهجوم والإنزال.

* لم تكن لمصـر فى هـذا الوقـت جيـوش فى سـيناء ونزلـت الثلاثـة الجيـوش المعادية على طول القناة– الإنجليز في بورسعيد والفرنساويين والإسرائيليين نزلوا بالقرب من الإسماعيلية... ولعب الإعلام دورا كبيرا فى تحقيـق النصـر السياسـى ..فقد استطعنا في تلك الأيام «عولمة الإعـلام المصـري» ولم يكـن هنـاك عولمـة وقتها، فقد كانت حرب 1956 ليست المسألة المصرية فقط ، بل استطعنا تسويق أن الحرب ليست مجرد اعتداء على مصر ، وإنما هو اعتداء عـلى الشـرعية الدوليـة التى يتحدث عنها العالم منذ تأسيس الأمم المتحدة والتى كنا أحد مؤسسـيها ، وأن الاعتداء هو على قرارات الأمـم المتحـدة فى المقـام الأول ، والتـى تكـرس لحـق الشعوب فى أن تعيش حرة مستقلة والتى هى أهم بنود حقوق الإنسان ، وانـدلعت المظاهرات المؤيدة لمصر في الكثير من دول العالم مثـل الهنـد واليابـان والصـين والعديد من الدول والبلاد العربية.

ضرب الإذاعة المصرية

قبل الحرب طلب منى الرئيس عبـد الناصـر أن أذهـب لفرنسـا لمقابلـة وزيـر الخارجية هناك ، لأن فرنسا كانت قد بعثـت باحتجاجـات بـأن الإذاعـة المصـرية تقوم بدعم المقاومة الجزائرية ، وكلفنى الرئيس بـأن أبلغـه بـأننى المسـئول عـن الإذاعة المصرية ، وبالفعل ذهبت إلى هناك وتقابلت مع وزير الخارجية الفرنسـى فقال لي« أنت تقول ننسحب من الجزائر وقمت بتهييج الشـعب الجزائـري كلـه في إعلامك وتقولوا مليون شهيد وغير ذلك ،وهل أحصيتم الـ مليون شـهيد ، يجـب

أن تعلموا أن الجزائر هي أرض فرنسية ، وليس لكم ولا لهم حق فيها ، فنحن الذين صنعنا هذه الأرض ثقافيًا وأنشأنا فيها كل شيء» فقلت له «إنه من الأفضل لفرنسا أن تترك الجزائر والجزائريين أصدقاء وبهم الثقافة الفرنسية ومبادئ حقوق الإنسان التي نادت بها الثورة الفرنسية في عام 1889م ، وأن تكون هناك صداقة بلا دماء بين الشعبين وعلاقة ودية أبدية» فقال لي« لو تماديتم في إعلامكم ضدنا في الجزائر سنضرب صوت العرب ونسكت صوتها » وسجلت فى أوراقى كل الملاحظات التى جاءت فى هذا اللقاء ،ومن بينها أنهم سيقومون بضرب إذاعة صوت العرب،وأخذت تلك التهديدات على محمل الجد،و عندما اندلعت حرب 1956 كان من أوائل أهدافهم إسكات صوت العرب ، وقبل نزولهم بأيام أذاعوا إنذار للمواطنين بأنهم سيقومون بضرب صوت العرب وكان هذا الإنذار يوم الثلاثاء وعبد الناصر سيخطب يوم الجمعة، وبالفعل تم ضرب صوت العرب فقال لي الرئيس عبد الناصر« هل رأيت ملناش صوت خالص» فقلت له أنا عندي محطة سرية سوف أذيع منها، فسألني : كيف عرفت أن صوت العرب ستضرب وعملت حسابك؟ فقلت له عندما أرسلتني إلى فرنسا قبل الحرب علمت ذلك من وزير الخارجية كنوع من التهديد الذى أخذته على محمل الجد... وعندما حدثت الحرب وتوالت الأحداث اتصلت بلبنان وسوريا وأخذوا يذيعون صوت العرب من لبنان وصوت العرب من دمشق، وخطب عبد الناصر في يوم الجمعة المقرر «سنحارب ... سنحارب ... سنحارب» وهنا انبهر العرب من انتصارنا السياسي في 1956، واستطعنا التواصل مع عدد كبير من أجهزة الإعلام المعارضة في العالم وكنت أعطيهم المعلومات عن الحالة ،ونقلت لهم الصورة التى نريد إيصالها للعالم ، وأن العدوان هو اعتداء على قرارات الأمم المتحدة وأنهم يقتلون الأطفال والنساء ويهدموا الكنائس والمساجد بمعنى أن العملية أصبحت عالمية.. ووقتها ظهر الرئيس الفرنسي والذي كان يلقى معارضة شديدة بسبب الحرب على مصر وقال للجمعية الوطنية« لماذا تهاجموني بسبب الحرب على مصر، فالجيش رفع العلم الفرنسي في الإسماعيلية وهلل الجميع » وعلمت بما قاله وكان بمصر عدد

كبير من الصحف والوكالات والإذاعات الأجنبية ومعظمهم تربطني بهم صداقات وعلاقات وطيده وكنت قد عملت لهم ناد خاص بهم، وكنت أذهب للعشاء معهم وأعلمهم بآخر الأخبار وكانوا يتحدثون لي في أي وقت وكان من بينهم مندوب الوكالة الفرنسية فسألته عما قاله الرئيس الفرنسي ،وأخبرته بأن عندي الآن سيارتين أتوبيس ستأخذ كل الصحفيين وأنا معكم ونعمل جولة صحفية في الإسماعيلية حتى تروا مبنى قناة السويس وما إن كان عليه العلم الفرنسي أم المصرى، ولا أريد منكم إلا أن تقولوا الحقيقة وإذا لم تروا العلم الفرنسى فوق مبنى قناة السويس فقولوا« أن هذا الرجل يكذب على شعبه » وذهبنا في ساعة ونصف وكان الرئيس الفرنسي مازال يخطب ويقول أن فرنسا دخلت الإسماعيلية وبعد وصولي والصحفيين إلى الإسماعيلية و إلى مبنى قناة السويس اتصل بهم مندوب الوكالة الفرنسية وقال لهم « لقد ذهبنا أناو100 صحفي من جميع أنحاء العالم للبحث عن العلم الفرنسى في الإسماعيلية ومبنى قناة السويس فلم نجد شيئًا، وقال مندوب الوكالة الفرنسية في رسالته لرئيس الجمعية الوطنية » بصفتك رئيس الجمعية الوطنية فأنا ومعي 100 صحفي نقول لك «كذاب كذاب كذاب» ونرجو إعلان ذلك في الجمعية الوطنية وبعد نصف ساعة وجدنا كل الوكالة تقول أنه أخذ الرسالة وقرأها وقال لهم إن العالم كله يقول «أن جي موليه كذاب كذاب كذاب» واشتد الهجوم عليه واندلعت المظاهرات وبعدها انتهى جي موليه وسقط.